المحاضرة05: ابن هانئ الأندلسي

نبغ في منطقة المغرب العربي عدد كبير من الأسماء الّتي كان لها الفضل في تطوير الحياة الثّقافية والاهتمام بمختلف العلوم، والتّجديد في مختلف المناحي الأدبيّة، فكان لهم الدّور الأساسي في الارتقاء بالحياة التّعليمية في هذه المنطقة الّتي كانت تشهد ضعفا وانحطاطا ثقافيا لاسيّما في مرحلة الفتوحات.

ويعدّ "**ابن هاني**" أحد أبرز الأعلام الّذين ساهموا بإنتاجاتهم الأدبية في ازدهار الحركة الثّقافية في منطقة المغرب العربي.

أولا: ابن هاني؛ نشأته وحياته (326هـ-362هـ):

هو أبو القاسم محمد بن هاني الأزدي الأندلسي، كان أبوه هاني من قرية المهدية في إفريقية، ويقول "ابن خلّكان" "إنّه كان شاعر أديبا" فانتقل إلى الأندلس فولد له محمد في قرية سكون من قرى إشبيلية.

نشأ شاعرنا في إشبيلية على حظّ وافر من الأدب ومَهَر في الشّعر، ويقول "ابن الأبّار "إنّ أكثر تأدبه كان في دار العلم قرطبة" ثم استوطن إلبيرة فعُرف بالشّاعر الإلبيري، كان حافظا لأشعار العرب وأخبارهم، فحفلت قصائده بكثير من الإشارات إلى وقائع العرب، وبذكر شعرائهم وساداتهم وأجوادهم، والأماكن الّتي ذكرها شعراء العرب الأقدمون.

اتّصل في أول عهده بصاحب إشبيلية ومدَحه وحظي عنده، غير أنّ استهتاره بالملّذات وغلوّه في تشيّعه، واعتقاده إمام الفاطميين وسلوكه مسلك المعزّي، وتجرّده من الدّين جعل الإشبيليين ينقمون

عليه، حتّى همّوا بقتله، ويسيئون المقالة في حقّ الملك بسببه، فأشار عليه الملك بالغيبة عن المدينة لينسى خبره، فخرج إلى عُدوة بالمغرب، وكان له من العمر يومئذ سبع وعشرون سنة.

ثمّ قصد جعفر بن علي المعروف بابن الأندلسية، وكان هذا وأخوه يحيى واليين في المسيلة إحدى مدن الزّاب فمدحهما وبالغا في إكرامه.

وما لبث أن عرف به المعزّ لدين الله الفاطمي فطلبه منهما فوجّهاه إليه فأعزّ وفادته، وامتدحه ابن هاني وغالى في مدحه وسلّم عليه بالخلافة ومدح قائده جوهرا.

ولما توجّه المعزّ إلى مصر بعد أن فتحها جوهر شيّعه ابن هاني ورجع إلى المغرب فتجهّز ثم التحق به حاملا معه عياله، ولما وصل إلى برقة أضافه أهلها في داره فأقام عنده أياما في مجلس الأنس فقال: إنّه عربد عليهم فقتلوه، وقيل إنّه خرج من تلك الدّار سكران فنام في الطّريق فأصبح ميتا، ولم يُعرف سبب موته.

وكيف كان الأمر فإنّه مات ولم يتجاوز السادسة والثلاثين، ولما بلغ المعزّ وهو في مصر خبر مقتله تأسّف عليه كثيرا.

كان ابن هاني يلقب بمتنبي المغرب.

ثانيا: شعره ابن هاني:

يدلّ شعر ابن هاني الأندلسي على أنّه كان ملمّا بعدد من العلوم كعلم اللّغة والفقه والكلام، ولكن اختصاصه كان في الأدب، وهو شاعر مجيد جعله معظم النقاد في مقدّمة شعراء المغرب كلّهم، والمغاربة يقرنونه بالمتنبي.

وابن هاني الأندلسي نجده يكثر من الألفاظ الغريبة وربما جاء بالصيغ الّتي لا ترد في القواميس، غير أنّ بناء الجملة متين، والغالب على شكل القصيدة عند شكل المعلقة، وقد يقترب من المعلقة حتى يقارب بألفاظه ألفاظ عنترة وزهير بن أبي سلمى وغيرهما، وكثيرا ما كان يطبع شعره على غرار شعر المتنبي في الخصائص اللّفظيّة والخصائص المعنوية في الأغراض.

والغالب على ديوان ابن هاني الأندلسي المديح، ثمّ فيه شيء من الرّثاء وقليل من الهجاء، والغزل والحكمة والوصف أغراض بارزة في هذا الدّيوان.

وشعر ابن هاني يسير في الاتّجاه المحافظ الجديد الّذي كان على رأسه بالمشرق في تلك الفترة أبو الطيب المتنبي، ويختار دائما الأوزان الطوال ذات التّفاعيل الكثيرة والنّغم الواضح والرنين العالي، ومن هنا كانت أكثر قصائده من الطويل والبسيط والكامل، وقليل من شعره هو الّذي جاء على غير هذه الأوزان، وقلّما نجد له شعرا من الأوزان القصيرة ذات الموسيقى البسيطة الهادئة، وكما يفعل ابن هاني في الأوزان يفعل في القوافي، فكثير من شعره يختم بالقوافي الفخمة التي تملأ الفم وتزحم السمع، بل إنّ قوافيه تأتي أحيانا على حروف لم تؤلف في القوافي كثيرا، كالثاء والحاء والطاء.

وكان يعبر عن المذهبية السياسية في شعره كون ابن هاني شاعرا مذهبيا لا يؤمن بالفن فقط وإنّما يستخدمه في تدعيم مذهب يميل إليه ويدعو له، فابن هاني قد اتصل بالحركة الشّيعية وهو في الأندلس، ومن هنا كثرت في شعره مصطلحات الشّيعة وآراؤهم، وبدت في نتاجه خطوط مذهبهم وروح دعوتهم، واشتمل أسلوبه في كثير من المواطن على الحجاج والجدل والتّعليل والتّدليل ومحاولة الإقناع المنطقي لا التّأثير الوجداني، وربما لا تخلو قصيدة من قصائده في المعز من عشرات الأمثلة على ذلك، فهو يقول مشيرا إلى فكرة الإمامة:

إمام عدل وفيّ في كل ناحية كما قضوا في الإمام العدل واشترطوا

وممّا قاله في مدح المعز:

تقول بنو العباس: هل فُتحت مصرُ فقل لبني العباس قد قضى الأمر

وقد جاوز الإسكندرية جوهر تطالعه البشرى ويقدمه النصر